٨ ــ ليا امرأة أيوب عليه السلام

كان «أيوب» عليه السلام أحد عباد الله الصالحين، ونبياً من أنبياء الله المرسلين، امتحنه الله وابتلاه، فكان حسن الظن بمولاه، والابتلاء متعدد الأشكال، متباين الألوان، فقد يقع على الإنسان في جَسَده، أو يتعلق بأهله ووَلَده، وقد ينصبُّ على متاعه وأمواله، ويفضي إلى سوء أحواله.

وكل ذلك عرض لنبي الله «أيوب» وتألَّبت عليه المصائب والكروب، فقابل وطأتها بالصبر، وواجَه شدتها بالشكر، فاستحق ثناء الله عليه، وردَّ ما أخذ منه إليه، لأنه لم يكن من رحمة الله آيساً، وكان بذكر الله مستأنساً.

فمن هذا النبي الصبور الذي كان مثال العبد الشكور؟

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: قال ابن إسحاق: كان رجلاً من الروم، وهو «أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل».

وقال غيره: هو «أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب»، وقيل غير ذلك في نسبه.

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت «لوط» عليه السلام، وقيل: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أُلقي في النار فلم تحرقه.

والمشهور الأول لأنه من ذرية «إبراهيم»، كما قررنا عنه قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ﴾ [الأنعام، الآية: ٨٤] الآيات، من أن الصحيح أن الضمير عائد على «إبراهيم» دون «نوح» عليه السلام. وهو من الأنبياء المنصوص على الإيحاء إليهم في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ﴾ [النساء، الآية: ١٦٣] الآية.

فالصحيح أنه من سلالة «العيص بن إسحاق»، وامرأته قيل: اسمها «ليا بنت يعقوب»، وقيل: «رحمة بنت أفرائيم» وقيل: «ليا بنت منسا بن يعقوب»، وهذا أشهر، فلهذا ذكرناه هٰهُنا. ثم نعطف بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته، إن شاء الله، وبه الثقة، وعليه التكلان.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤].

وقال تعالى في سورة «صٓ»: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [صٓ، الآيات: ٤١-٤٤].

وروى ابن عساكر من طريق الكلبي أنه قال: أول نبي بعث «إدريس»، ثم «نوح»، ثم «إبراهيم»، ثم «إسماعيل»، ثم «إسحاق»، ثم «يعقوب»، ثم «يوسف»، ثم «لوط»، ثم «هود»، ثم «صالح»، ثم «شعيب»، ثم «موسى»، ثم «هارون»، ثم «إلياس»، ثم «اليسع»، ثم «عرفي بن سويلخ بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب»، ثم «يونس بن متى» من بني يعقوب، ثم «أيوب بن رازح بن آموص بن ليفرز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم». وفي بعض هذا الترتيب نظر، فإن «هوداً» و«صالحاً» المشهور أنهما بعد «نوح» وقبل «إبراهيم»، والله أعلم.

قال علماء التفسير والتاريخ، وغيرهم: كان «أيوب» رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام، والعبيد، والمواشي، والأراضي المتسعة بأرض «البَثَنِيَّة» من أرض حوران.

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب من ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله ﷻ بهما، وهو في ذلك صابر محتسب لله ﷻ في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه[1].

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٤٤، ٢٤٥).

ولما طال مرضه انفضَّ الناس من حوله، إلا امرأته، فكانت تصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتراعي مصلحته، حتى ضعف حالها، وشَحَّ مالها، مما اضطرها إلى خدمة الناس لقاء أجر معلوم يوفر لها ولزوجها الحد الأدنى من لوازم العيش بعد فقد المال والعون، فأي وفية كانت! ولا نغالي إذا قلنا: إنها كانت منقطعة القرين، وليس لها نظير، في مثل تلك الظروف العصيبة التي أحاطت بها، غير أن رحمة الله قريب من المحسنين، وكانت «ليا» امرأة «أيوب» منهم في صبرها وخدمتها لزوجها، وعدم جحودها لحسن معاملته لها، ورغد العيش الذي أمَّنه لها آن كان المال وافراً بين يديه.

وهل في النساء من تفعل ما فعلته «ليا» مع زوجها، إلا من كانت كريمة الأصل، طيبة المَنْبِت، مدركة لحقوق بعلها في الشدة والرخاء، عالمة بما فضَّل الله تعالى به الرجال، وبما أوصاهم به من الإحسان إلى النساء؟

كانت «ليا» شريكة لزوجها «أيوب» في صبره على البلاء، ولئن أجهده السقام، وأرهقت جسده الآلام، فهي مقيمة إلى جانبه، لا تألو جهداً في تخفيفها، ولا تتبرَّم من طول مدة مرضه التي قيل: إنها امتدت إلى ثمانية عشر عاماً.

وجاء في الحديث الذي رواه الدارمي في «سننه» وأحمد في «مسنده»، والترمذي، وغيرهم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»، وقال: «**يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**»[1].

لكن «أيوب» عليه السلام كان كلما زاد بلاؤه، واشتد سقمه، وعظم ألمه، زاد صبراً واحتساباً، وشكراً يزيده من الله اقتراباً.

وقد أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه: عن محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، أبو هشام، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وَهْبَ بن منبِّه يقول: إن إبليس ـ لعنه الله ـ سمع تجاوب

(١) سنن الدارمي (٢٠/٦٧/٢٧٨٦) والمسند (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤) والترمذي (٣٧/٥٦/٢٣٩٨).

الملائكة بالصلاة على «أيوب»، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه، فسلَّطه الله على ماله دون جسده وعقله، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب «البَثَنِيَّة» من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها، وكان بها ألف شاة برعاتها، وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد، بين اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمعهم إبليس، قال: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سُلِّطْتُ على مال «أيوب»، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال كل مَنْ عنده قوة لإهلاك شيء ما عنده، فأرسلهم فأهلكوا ماله كله، و«أيوب» في كل ذلك يحمد الله، ولا يثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجدِّ في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه، والصبر على ما ابتلاه به.

فلما رأى ذلك من أمره إبليس ـ لعنه الله ـ سأل الله تعالى أن يسلطه على وَلَده، فسلَّطه عليهم، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله، فأهلك وَلَده كلهم، ثم جاء إليه متمثلاً بمعلِّمهم الذي كان يعلِّمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرَمِّقه حتى رقَّ «أيوب» فبكى، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه، فسُرَّ بذلك إبليس، واغتنمه من «أيوب» عليه السلام.

ثم إن «أيوب» تاب واستغفر، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبرروا إبليس إلى الله ﷻ، فلما لم يئن «أيوب» عليه السلام ما حَلَّ به من المصيبة في ماله وَولَده عن عبادة ربه، والجدِّ في طاعته، والصبر على ما ناله، سأل الله ﷻ إبليس أن يسلِّطه على جسده، فسلّطه على جسده خلا لسانَه وقلبَه وعقلَهْ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً. فجاءه وهو ساجد، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسدُه، فصار من جملة أمره إلى أن أنتن جسده، فأخرجه أهل القرية إلى كُنَاسة خارج القرية لا يقربُه أحد إلا زوجته[1].

ومثل هذا الكلام عن نبي الله، الذي اختاره الله واصطفاه، ليقرِّب إليه العباد، ويبعدهم عن الشر والفساد، وقد أباه العديد من العلماء، وعَدُّوه من

(١) تاريخ الطبري (١/ ٣٢٣، ٣٢٤).

الإسرائيليات، التي لا يجوز الركون إليها في كل الأوقات، لأنها تنافي العقول السليمة، وتسيء إلى مقام النبوة إساءة وخيمة، وقد ذكر الإمام القرطبي ﷺ في تفسيره، نقلاً عن ابن العربي، وإذا لم يصح عن «أيوب» فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ـ أي: من القرآن والحديث ـ عن الذي يوصل السامع إلى «أيوب» خبره؟ أم على أيِّ لسان سمعه؟

والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خَبالاً[1].

وقد عَرَض «المراغي» في تفسيره لهذا الأمر فقال: وما روي من مقدار ما لحقه الضر في نفسه حتى وصل إلى حد النَّضْرة منه، وأن الناس جميعاً تحاموه وطردوه من مقامه إلى ظاهر المدينة في موضع الكُنَاسة، ولم يكن يتصل به إلا امرأته التي تذهب إليه بالزاد والقوت، فكل ذلك من الإسرائيليات التي يجب الاعتقاد بكذبها، لأنه ليس من سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة ألَّا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفر الناس منه، ولأنه متى كان كذلك لا يستطيع الاتصال بهم وتبليغ الشرائع والأحكام.

وأقول ههُنا: إن الله اصطفى أنبياءه ورسله من عباده البررة الأمناء الصادقين الأخيار، المطهرين المنزهين عن النجاسات والمنفرات والأقذار، ومن ذا الذي يرضى الجلوس إلى رجل تزكم رائحة نتنه الأنوف، والدود ظاهر على جسده والصديد يجري منه، ليتلقى عنه أحكام الدين، وشرائع رب العالمين؟

وأرى من واجب الدول الإسلامية أن تتداعى إلى تشكيل لجنة على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة في الفقه الإسلامي لتصفية تراثنا من شوائب الإسرائيليات لئلا تختلط بعقول الأجيال القادمة من أبناء المسلمين، وتُلَبِّس عليهم ما هم في غنًى عنه، لأن معرفة الإسرائيليات لا يهتدي إليها كل أحد، ولا يكشفها إلا الفهامة العلامة الخبير.

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٠).

وقد جاء في تفسير «الآلوسي» لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾ [ص، الآية: ٤١] : وإسناد المس إلى الشيطان قيل: على ظاهره، وذلك أنه ـ عليه اللعنة ـ سمع ثناء الملائكة عليهم السلام على «أيوب» عليه السلام فحمده، وسأل الله تعالى أن يسلطه على جسده وماله وولَده ففعل عز وجل ابتلاء له، ثم قال: وفي بعض الآثار أن الماسَّ له شيطان يقال له: «سوط»، وأنكر الزمخشري ذلك فقال: لا يجوز أن يسلط الله تعالى الشيطان على أنبيائه عليهم السلام ليقضي من إتعابهم وتعذيبهم وطره، ولو قدر على ذلك لم يرَ صالحاً إلا وقد نكبه وأهلكه، وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب، وجعل إسناد المسِّ إليه هنا مجازاً فقال: لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله تعالى به من النصب والعذاب نسبه إليه، وقد راعى عليه السلام الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله سبحانه في دعائه، مع أنه جَلَّ وعلا فاعله، ولا يقدر عليه إلا هو، وهذه الوسوسة قيل: وسوسته إليه عليه السلام أن يسأل الله تعالى البلاء، ليمتحن ويجرب صبره على ما يصيبه، كما قال شرف الدين عمر بن الفارض:

وبما شئت في هواك اختبرني ... فاختياري ما كان فيه رضاكا

وسؤاله البلاء دون العافية ذنب بالنسبة إليه لمقامه عليه لا حقيقة، والمقصود من ندائه بذلك الاعتراف بالذنب، وقيل: إن رجلاً استغاثه على ظالم، فوسوس إليه الشيطان بترك إغاثته فلم يغثه، فمسَّه الله تعالى بسبب ذلك بما مَسَّه.

وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وسوسة من الشيطان، فعاتبه الله تعالى بالبلاء، وقيل: وسوس إليه فأعجب بكثرة ماله وولَده فابتلاه الله تعالى لذلك.

وكل هذه الأقوال عندي متضمنة ما لا يليق بمنصب الأنبياء عليهم السلام، وذهب جمع إلى أن النصب والعذاب ليسا ما كانا له من المرض والألم، أو المرض وذهاب الأهل والمال، بل أمران عرضا له وهو مريض فاقد الأهل والمال، فقيل: هما ما كانا له من وسوسة الشيطان إليه في مرضه من عظم البلاء، والقنوط من الرحمة، والإغراء على الجزع كان الشيطان يوسوس إليه بذلك، وهو يجاهده

في دفع ذلك حتى تعب وتألَّم على ما هو فيه من البلاء، فنادى به يستصرفه عنه، ويستعينه عليه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [صٓ، الآية: ٤١].

وقيل: كانا من وسوسة الشيطان إلى غيره، فقيل: إن الشيطان تعرض لامرأته بصورة طبيب، فقالت له: إن ههُنا مبتلًى فهل لك أن تداويه؟ فقال: نعم بشرط أن يقول: إذا شفيتُه، أنت شفيتني، فمالت لذلك، وعرضت كلامه لأيوب عليه السلام، فعرف أنه الشيطان، وكان عليه ذلك أشد ممَّا هو فيه، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ [الأنبيَاء، الآية: ٨٣] الخ.

وقيل: إن الشيطان طلب منها أن تذبح لغير الله تعالى إذا عالجه وبرأ، فمالت لذلك، فعظم عليه عليه السلام الأمر فنادى.

وقيل: إنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم، فسأل عنه، فقيل له: ألقى إليه الشيطان أن الله تعالى لا يبتلي الأنبياء والصالحين، فتألم من ذلك جداً، فقال ما قال.

وفي رواية: مَرَّ به نفر من بني إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلَّا بذنب أصابه، وهذا نوع من وسوسة الشيطان، فعظم عليه ذلك، فقال ما قال، والإسناد على جميع ما ذكر باعتبار الوسوسة، وقيل: غير ذلك، والله تعالى أعلم.

وقوله سبحانه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [صٓ، الآية: ٤٢] . . . فقلنا له: هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك، فالمغتسل اسم مفعول على الحذف والإيصال وكذا الشراب، وعن مقاتل: أن المغتسل اسم مكان، أي: هذا مكان تغتسل فيه، وليس بشيء.

وظاهر الآية اتحاد المخبر عنه بمغتسل وشراب، وقيل: إنه عليه السلام ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة، فاغتسل منها، وبرجله اليسرى فنبعت باردة فشرب منها، وقال الحسن: ركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم ركض برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها، ولعله عَنَى بالأولى عيناً حارة، وظاهر النظم عدم التعدد.

وقيل: أُمِرَ بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء بجسده.

وكان ذلك على ما روي عن قتادة، والحسن، ومقاتل: بأرض الجابية من الشام، وفي الكلام حذف أيضاً، أي: فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضُرٍّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [صٓ، الآية: ٤٣]، بإحيائهم بعد هلاكهم على ما روي عن الحسن.

وروى الطبرسي عن أبي عبد الله رضي الله عنه أن الله تعالى أحيا له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية، وأهله الذين ماتوا وهو في البلية.

وفي البحر: الجمهور على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله، وعافى المرضى، وجمع عليه من تشتَّت منهم.

وقيل: وإليه أميل، وهبه من كان حياً منهم، وعافاه من الأسقام، وأرغد لهم العيش، فتناسلوا حتى بلغ عددهم عدد من مضى، فكان له ضعف ما كان، والظاهر أن هذه الهبة كانت في الدنيا، وزعم بعض أن هذا وعد وتكون تلك الهبة في الآخرة ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُصّلَت، الآية: ٥٠] أي: لرحمة عظيمة عليه من قبلنا، ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ، الآية: ٤٣] وتذكيراً لهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر، ويلجأوا إلى الله تعالى فيما يصيبهم كما لجأ ليفعل سبحانه ما فعل به من حسن العاقبة.

ثم قال «الآلوسي»: فكانت امرأته تسعى إليه، فقالت له يوماً: أما ترى يا أيوب! قد نزل بي والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني برغيف فأطعمتك، فَادْعُ الله تعالى أن يشفيك ويريحك، فقال: ويحك! كنا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضر سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء «جبريل» عليه السلام فأخذ بيده، ثم قال: قم فقام عن مكانه، وقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [صٓ، الآية: ٤٢] فاغتسل وشرب فبرأ، وألبسه الله تعالى حلة من الجنة، فتنحَّى فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله! أين المبتلَى الذي كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك! أنا «أيوب» قد ردَّ الله تعالى عليَّ جسدي، وردَّ الله تعالى عليه ماله وولده ومثلهم معهم، وأمطر عليه جَراداً من ذهب، فجعل

يأخذ الجراد بيده، ويجعله في ثوبه، وينشر كساءه، فيجعل فيه، فأوحى الله تعالى إليه: يا أيوب! أما شبعت؟ قال: يا رب! من الذي يشبع من فضلك ورحمتك؟

وفي البحر، روى أنس عن النبي ﷺ: أن «أيوب» بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى ملَّه العالم ولم يصبر عليه إلا امرأته.

وعِظَمُ بلائه عليه السلام مما شاع وذاع، ولم يختلف فيه اثنان، لكن في بلوغ أمره إلى أن ألقي على كُنَاسة ونَحْوِ ذلك فيه خلاف:

قال «الطبرسي»: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون بضعة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيراً، فأما الفقر والمرض وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك.

وفي «هداية المريد» للقاني أنه يجوز على الأنبياء عليهم السلام كل عرض بشري ليس محرماً ولا مكروهاً، ولا مُباحاً مُزْرياً، ولا مُزْمِناً، ولا مما تعافه الأنفس، ولأنما يؤدي إلى النفرة، ثم قال بعد ورقتين، واحْتَرَزْنا بقولنا: ولا مزمناً ولا مما تعافه الأنفس عما كان كذلك كالإقعاد والبرص والجذام والعمى والجنون، وأما الإغماء فقال «النووي» لا شك في جوازه عليهم لأن مرض بخلاف الجنون فإنه نقص، وقيد «أبو حامد» الإغماء بغير الطويل، وجزم به «البلقيني».

قال «البكي»: وليس كإغماء غيرهم لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم، لأنها معصومة من النوم الأخف.

قال: ويمتنع عليهم الجنون، وإن قَلَّ لأنه نقص، ويلحق به العمى، ولم يَعْمَ نبي قط، وما ذكر عن «شعيب» من كونه كان ضريراً لم يثبت، وأما «يعقوب» فحصلت له غشاوة وزالت، ا.هـ.

وفرق بعضهم في عروض ذلك بين أن يكون بعد التبليغ وحصول الغرض من النبوة، فيجوز، وبين أن يكون قبل فلا يجوز، ولعلك تختار القول بحفظهم مما تعافه النفوس، ويؤدي إلى الاستقذار والنفرة مطلقاً، وحينئذ، فلا بد من القول بأن ما ابْتُلِيَ به «أيوب» عليه السلام لم يصل إلى حد الاستقذار والنفرة كما يشعر به ما روي عن قتادة، ونقله القصاص في كتبهم.

وذكر بعضهم أن داءه كان الجدري، ولا أعتقد صحة ذلك، والله تعالى أعلم[١].

ومما هو راسخ في النفس أن رحمة الله تعالى بعباده أوسع من أن تُحَدَّ، وهو القائل جلَّ في علاه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف، الآية: ١٥٦].

وكان «أيوب» عليه السلام قد بعث امرأته «ليا» في حاجة فأبطأت عليه، وقيل: بلَّغت «أيوب» عليه السلام أن يقول كلمة محذورة فيبرأ، وأشارت عليه بذلك فقالت له: إلى متى هذا البلاء؟ كلمة واحدة، ثم استغفر ربك فيغفر لك، فظن أنها ارتكبت في ذلك محرماً فَحَلَفَ ليضربنها إن برىء مائة ضربة، فلما برىء أراد أن يبر بقسمه، ورحمة من الرحمٰن الرحيم بـ «ليا» الصابرة المحتسبة الوفية لزوجها، أوحى الله إلى نبيه «أيوب» عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [صٓ، الآية: ٤٤] والضِّغْث حزمة من الحشيش فيضربها بها.

وعن سعيد بن المسيب أنه عليه السلام لما أُمِرَ أخذ ضغثاً من ثُمَام فيه مائة عود، والثُّمام: نوع من العشب، وذلك كافٍ ليبر بيمينه، وشرع الله تعالى ذلك رحمة عليه وعليها، لحسن خدمتها إياه، ورضاه عنها، وهي رخصة باقية في الحدود في شريعتنا وفي غيرها أيضاً، لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الأولى.

وفي حديث لسهيل بن ضيف قال: حملت وليدة في بني ساعدة من زِناً، فقيل لها: مِمَّنْ حَمْلُك؟ قالت: من فلان المُقْعَد، فسئل المُقْعَد، فقال: صدقت، فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «خذوا عثكولاً فيه مائة شمراخ، فاضربوه به ضربة واحدة» ففعلوا.

وعن عبد بن حميد، عن محمد بن عبد الرحمٰن، عن ثوبان: أن رجلاً أصاب فاحشة على عهد رسول الله ﷺ وهو مريض على شفا موت، فأخبر أهله بما صنع، فأمر النبي ﷺ بِقُنوٍ فيه مائة شمراخ، فضُرِبَ به ضربة واحدة.

وأخرج الطبراني، عن سهل بن سعد: أن النبي ﷺ أُتِي بشيخ قد ظهرت عروقه، قد زنى بامرأة، فضربه بضغثٍ فيه مائة شمراخ ضربة واحدة.

---

(١) روح المعاني (٢٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨).

ولا دلالة في هذه الأخبار على عموم الحكم من يطيق الجَلْد المتعارف، لكن القائل ببقاء حكم الآية قائل بالعموم، لكن شرطوا في ذلك أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة، إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب.

فسبحان الواحد الأحد المعبود، الآمر بإقامة الحدود، على كل آثم شَرُود، غافر الذنب، وقابل التوب، لكل من تاب وأناب، ورجع إلى الصواب.

ورحم الله تعالى «ليا» وزوجها «أيوب» رحمة واسعة.

obeikandl.com